

## الإتهام بتحريف كلام الله في كل ما يتعلق بنبوة محمد ﷺ

اجتهد ابن هشام في العديد من المواضع أن يبرز موقف اليهود المعارض والرافض لنبوة محمد مثل ذكره لقول رافع بن حريملة للرسول: "يا محمد، إن كنت رسولاً من الله كما تقول، فقل لله فليكلمنا حتى نسمع كلامه" (٢٢). وقول عبد الله بن سوريا الأعور للرسول: "ما الهدى إلا ما نحن عليه فاتبعنا يا محمد تهتد" (٢٣). وقول سكين وعدي بن زيد للرسول: "يا محمد ما نعلم أن الله أنزل على بشر من شيء بعد موسى" (٢٤). وكيف أن الرسول كان يؤكد لهم صدق نبوته وأنهم يعرفون صدق ما يقول لأن ذلك مذكور في التوراة، كقوله لجماعة منهم: "والله أنكم لتعرفون أنه من عند الله وأناي لرسول الله تجدون ذلك مكتوباً عندكم في التوراة" (٢٥).

ويبين ابن هشام كيف أن اليهود كانوا ينكرون ما كانوا يبشرون به عن قرب ظهور نبي، وإذا ما ووجهوا بما قالوا هم، كانوا يجيبون: "ما قلنا لكم هذا قط، وما أنزل الله من كتاب بعد موسى، ولا أرسل بشيراً ولا نذيراً بعده" (٢٦). أو أنهم يقولون: "انه ليس الذي قصدناه" (٢٧) وما شابه.

ويظهر ابن هشام كيف أن الرسول كان يؤكد لليهود أنه الذي بشروا به، وأنه الذي أشار إليه الله في التوراة والإنجيل،

وذكر في العديد من الآيات التوراتية . وكيف أنه أمام هذا الرفض القاطع لم يجد إلا اتهامهم بإخفاء الحقيقة ، أو جهلها أو معرفتها والتنكر لها وتحريف كلام الرب .

وهكذا دارت المعركة الفكرية العنيفة بين الجانبين كما رسمها ابن هشام في تجميعه لمختلف الروايات والقصص ، وعلى عادته في مواقف مختلفة يكثر ابن هشام الإستشهاد بآيات من القرآن الكريم لدعم ما أراد تأكيده من اتهام اليهود مثل قوله تعالى في الرد على المنكرين لنبوة محمد والجاحدين لها : " إن الذين كفروا- أي بما أنزل إليك - سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون " (٢٨) (أي إنهم قد كفروا بما عندهم من ذكرك ، ووجدوا ما أخذ عليهم من الميثاق لك ، فقد كفروا بما جاءك وبما عندهم ، مما جاءهم به غيرك فكيف يستمعون منك إنذاراً أو تحذيراً وقد كفروا بما عندهم من علمك) . وقوله تعالى : " ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون " (٢٩) . (أي لا تكتموا ما عندكم من المعرفة برسولي وبما جاء به ، وأنتم تجدونه عندكم فيما تعلمون من الكتب التي بأيديكم) . وقوله تعالى : " فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به " (٣٠) . وقوله " ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين " (سورة البقرة ، ٨٩) .

ويأتي ابن هشام بما ذكر من رسالة الرسول إلى يهود خيبر

التي يدعوهم فيها إلى الإيمان بنبوته وقبول دعوته ، حيث يقول لهم : " ألا أن الله قد قال لكم يا معشر أهل التوراة ، وأنكم لتجدون ذلك في كتابكم (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار) وينهي رسالته بقوله : " فإن كنتم لا تجدون ذلك في كتابكم فلا كره عليكم فأدعواكم إلى الله ونيبه " (٢٨) .

ما ورد في السيرة النبوية يقدم صورة صادقة لما وصل إليه التفكير الإسلامي ، والتصوير الكامل لشخصية الرسول وأعماله ، الصورة النموذجية المثالية الكاملة التي لا تختلف في كثير أو قليل عن الصورة الكاملة للمسيح وموسى . فقد كان الذكاء لدى مدوني السيرة النبوية ، وخاصة ابن هشام ، أن عرفوا كيف يجمعون الروايات والقصص المتفرقة ، وكيف يستشهدون بالشعر وبالآيات القرآنية والأحاديث النبوية ليسبغوا على كل قصة أو رواية طابع الصدق الذي لا يجروا أي مسلم مؤمن على الشك فيه أو مناقشته ، فكل موقف للرسول وضح وفسر ، وكل عمل برر ، وكان الذكاء واضحاً في موقف الرسول من حربه لبني قريظة وما تبع ذلك من قتل الرجال وسبي النساء وأخذ الأموال ، حيث اهتم ابن هشام أن يؤكد أن حرب بني قريظة تم بإرادة الرب وتوجيهه حيث أن الملاك جبريل هو الذي نبه الرسول لذلك وسبقه لزلزلة بيوتهم ودك حصونهم (٢٩) ، وكأننا بان هشام شعر بهذا الموقف المخرج للرسول ، فبرره بما أسبغ عليه من هذه الإرادة الربانية ،

كذلك موقف زواج الرسول من صفية بنت حيي قد لا يقبله العقل السليم ، إذ كيف يقوم الرسول بعد قتله لوالدها وزوجها وأهلها بالزواج منها؟ لكن ابن هشام وجد التبرير بإظهاره بأن صفية كانت تُمني نفسها بالزواج من محمد ﷺ (٣٠) حتى قبل أن تسمع به وتراه ، وأنها تختلف عن غيرها بأنها لم تبك أهلها (٣١) ولم تشعر بالحزن عليهم بل سارعت للموافقة على الزواج من الرسول وهي سعيدة فرحة .

لقد أصبحت السيرة تشكّل مصدراً مهماً لدى مؤرخي التاريخ الإسلامي الأول ، وكذلك أصبحت مصدراً مهماً لإثبات العديد من المواقف والأفكار التي أصبحت مجال جدل ونقاش في العصور اللاحقة ، خاصة بما يتعلق بالعلاقة بين قريش والمسلمين ، والعلاقة بين اليهود والرسول وكل ما تبع ذلك من اتهامات . ويمكننا اعتبار ما ورد في السيرة النبوية من اتهامات وتسفيه لليهود كأول رد فعل إسلامي على تلك المواقف الحرجة التي وقفها المسلمون أمام النصارى واليهود بشكل خاص ، نتيجة للاحتكاكات التي سببتها التوسعات الإسلامية ، وضمها لشعوب عديدة كلها تخضع للخلافة الإسلامية ، فقد زادت معرفة علماء المسلمين بما في الكتب المقدسة المسيحية واليهودية ، ووقفوا على هذا التناقض بين ما ورد في القرآن وما ورد في التوراة والإنجيل ، وكان عليهم أن يجدوا التبرير ويفسروا ذلك .

## الإشارات

- ١- ابن منظور - لسان العرب - الجزء التاسع - ص ٤٣ .
- ٢- ابن هشام- السيرة النبوية ، جزء أول ، ص ٣٣٠ .
- ٣- المصدر السابق- جزء أول ، ص ٣٣٠
- ٤- المصدر السابق- جزء ٢ ، ص ١٥٣
- ٥- المصدر السابق- جزء ٢ ، ص ١٧٤
- ٦- المصدر السابق- جزء ٢ ، ص ٢٠١
- ٧- المصدر السابق- جزء ٢ ، ص ١٩٩
- ٨- كارل بروكلمان - تاريخ الشعوب الإسلامية - ص ٤٧
- ٩- جواد علي - المفصل في تاريخ العرب ، جزء ٦ ، ص ٥٤٥
- ١٠- ابن هشام- السيرة النبوية جزء أول ، ص ٣٣٠
- ١١- المصدر السابق- جزء ٢ ، ص ٢٠١
- ١٢- المصدر السابق- جزء ٢ ، ص ٢٠٢
- ١٣- المصدر السابق - جزء ٢ ، ص ١٨٦
- ١٤- المصدر السابق- جزء ٢ ، ص ٢٧١
- ١٥- المصدر السابق- جزء ٢ ، ص ٢٠٠
- ١٦- المصدر السابق- جزء ٢ ، ص ١٨٨-١٨٩
- ١٧- المصدر السابق - جزء ٢ ، ص ١٨٩
- ١٨- المصدر السابق- جزء ٢ ، ص ٢١٠

- ١٩- المصدر السابق- جزء ٢، ص ٢٠٥
- ٢٠- المصدر السابق- جزء ٢، ص ٢١٠-٢١١
- ٢١- المصدر السابق- جزء ٢، ص ٢١٠
- ٢٢- ابن هشام - السيرة النبوية - جزء ٢، ص ١٩٨ .
- ٢٣- المصدر السابق - ص ١٩٨ .
- ٢٤- المصدر السابق - ص ٢١١ .
- ٢٥- المصدر السابق - ص ٢١٩ .
- ٢٦- ابن هشام - السيرة النبوية - الجزء الثاني - ص ٢١٢ .
- ٢٧- المصدر السابق - الجزء الأول - ص ٢٦٢ و ٢٢٨ وغيرها كثير .
- ٢٨- القرآن الكريم- سورة البقرة، آية ٦
- ٢٩- القرآن الكريم- سورة البقرة، آية ٤٢
- ٣٠- القرآن الكريم - سورة البقرة، آية ٨٩
- ٣١- المصدر السابق - ص ١٩٣ .
- ٣٢- السيرة النبوية - الجزء الثالث - ص ٢٤٤ .
- ٣٣- المصدر السابق - ص ٣١٥ ، و الطبرى - تاريخ الطبرى - الجزء الثالث - ص ٩٤ .
- ٣٤- المصدر السابق - ص ٣٥٠-٣٥١ و الطبرى ، الجزء ٣ - ص ٩٤
- وابن سعد - كتاب الطبقات الجزء ٣- القسم الأول ص ٨١ .